بتاريخ 22 رجب 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 61

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

تَتميم الاستدلال البُرهانيّ تجاه النَّزغ الشّيطانيّ

لازِلنا نَتحاوَر حول آية النّزغ الشّيطانيّ، حيث:

1. إنّه تعالى قد خَتم الآية معلّلاً قائلاً: «إنّه سميع عليم» فيُعدّ قرينة أخرى على معرفته تعالى بنزغ من جانب الشّيطان على المعاندين و الجاهلين الهادِمين لأمنيّات النّبيّ و أهدافه، فلا يَرتبط التّعليل ب «فاستعِذ بالله» إذ لا يَتلائمان بل يرتبط بعبارة «من الشّيطان نزغ».[1]

2. فلو عارَضتنا رواية دالة على «وسوسة المعصوم» لَتوجَّب تبريرُها بشَكل مّا أو نبذُها تماماً، نظراً للعصمة المطلقة العقليّة، و للآيات المحكَمات السّالفة، و للقوّة القدسيّة ـ روح القدس ـ التي يَمتلكونها[2] فكما أنّا لا يَخطُر ببالنا أبداً أن نَخرُج أمامَ النّاس بحالة عريانيّة و لا يَطرُق أذهانَنا أيضاً أن نَتذوَّق القَذارات بتاتاً، بحيث لا نوسوَس بهذه الأفاعيل، فما بالُك بساحة المعصوم النّورانيّة ـ قبالَ ظلمة الوسوسة ـ حيث قد صرّحت الرّوايات أنّهم دوماً بمحضر الله تعالى حتّى أثناء منامهم، فهذه فضيلة إلهيّة تكوينيّة تماماً بحدّ لا تَخضَع للتّخصيص[3] ـ كما أسلفنا مبسَّطاً ـ فمن هذا المُنطَلَق قد تَجاهَر تعالى قائلاً: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ و كفَى بربّك وكيلاً»[4] و ممّا يدعم تفكيرنا تجاه معنى «النَّزغ» هي مقالة «تفسير أطيَب البيان فى تفسير القرآن» للسّيّد عبد الحسين الطّيّب (١٣٧٠ق) ـ بالفارسيّة ـ.[5]

3. و في هذا النَّسق أيضاً قد وردت رواية لم تَنسِب النّزغ إلى تفكير النّبيّ أساساً، فهي كالتّالي: «قَالَ اِبْنُ زَيْدٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ اَلْآيَةُ (اَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) قَالَ اَلنَّبِيُّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: كَيْفَ يَا رَبِّ اَلْغَضَبُ؟ فَنَزَلَ قَوْلُهُ: وَ إِمّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ اَلشَّيْطانِ نَزْغٌ.»[6] فقد كان الغَضب يَشتعِل من قِبل الجَهَلة و المَرَدة كي يُثيروا العداوة و المَقتة، فبالتّالي لا يَرتبط النّزغ بنفس النّبيّ الباطنيّة إطلاقاً.

4. و في هذه الحَلبة أيضاً قد استَذكر فخر الرّازيّ رواية أخرى قائلاً: «وروى الحاكم بسنده عن سليمان بن صرد قال: «استَبَّ رجلان عند النّبيّ (صلى الله عليه و آله و شَتَما بعضهما) فأشتدَّ غضب أحدهما فقال النّبيّ: إنّي لأعلَمُ كلمةً لو قالها (الغاضب) لذَهَب عنه الغضب: أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم فقال الرّجل: أمجنونٌ تَراني؟ فتَلا رسولُ الله صلى الله عليه و آله «وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ».[7] فقد استَبان شأن نزول الآية و أبعادها أيضاً حيث إنّ الغضب قد اعتراهُم من الخارج نتيجةَ النّزغ و الإفساد بين اثنَين ـ كما أمضَينا معناه ـ فبالتّالي قد أصابَ الغيرَ، لا نفس رسول الله.

5. و في هذا الاتّجاه أيضاً لو تَدبَّرنا في الآية التّالية: «إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»[8] لوَجدناها تُناهِز آيتَنا المبحوثة، فإنّه تعالى يأمر بالاستعاذة من «الكبر العارض عليهم المانع عن تقبّل الحقّ» حيث قد عرَض على قلوب المجادلين الجاهلين، لا على إرادة النّبيّ و أفكاره.

6. و أمّا الرّواية التّالية: «وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ ثمّ قال: وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ، قال: إن عَرَض في قلبك منه شيء و وسوسة فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، ثمّ قال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا- فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ، قال: و إذا ذكّرهم الشيطان المعاصيَ و حملَهم عليها يذكرون الله فإذا هم مبصِرون، قال: و إذا ذكّرهم الشّيطان وَ إِخْوانُهُمْ من الجن يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُون...»[9] فلو سلَّمنا انتساب الكتاب إلى عليّ بن إبراهيم و تماميّة أسانيده، و لكن لا تَبدو الإجابة صادرةً عن فم المعصوم عليه السّلام بل المُستَظهَر هو أنّ صاحب الكتاب بقلمه قد فسَّرها.

---

[1] و لكن يَبدو جليّاً أنّه خلاف الظّهور فإنّ فِقرة «سميع بصير» تعليل للاستعاذة تماماً، و لا يَخدِش مراد الأستاذ المعظَّم أيضاً لأنّه تعالى سيَنسخ و يَمسَح إلقائات الشّيطان و نزغاته الواردة على الكفّار و الجاهلين و المنافقين ببركة الاستعاذة.

[2] بل و في هذه المسيرة الحسّاسة قد صرّحت بعض الرّوايات بانعدام السّهو و شتّى الموانع كالوسوسة و... ببركة روح القدس حيث قد ورد خبر مفضل ابن عمر المروي في بصائر الدرجات الحديث ٣ قال: «قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض و هو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل ان اللّه تبارك و تعالى جعل للنبي(ص) خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب و درج، و روح القوة فيه نهض و جاهد و روح الشهوة فيه أكل و شرب و أتى النساء من الحلال، و روح الإيمان فيه أمر و عدل، و روح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي (ص) انتقل روح القدس فصار في الإمام عليه السلام، و روح القدس لا ينام و لا يغفل و لا يلهو و لا يسهو، و الأربعة الأرواح تنام و تلهو و تغفل و تسهو، و روح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض و غربها و برها و بحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام عليه السلام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم و ما دون العرش».

[3] بأن يَتصوَّر مَعتُوهٌ أنّ الله تعالى قد أذهب عنهم مطلق الرّجس و الظّلمة و سلطان الشّيطان سوى في مورد الوسوسة و النّزغ، فهذه مقالة تُضحِك الثَّكلى حقيقةً، و قد أكَّد الأستاذ المبجَّل مسبقاً بأنّ الدّليل العقليّ الذي قد بَرهن لنا «عصمتَهم» لا يَخضَع للتّخصيص نهائيّاً حتّى بمورد واحد ـفي نوم النبيّـ إذ قد استَبان بل قد تسالم الأعلام بأنّ الأدلة العقليّة لا تَستقبل الاستثناء، فلو افترَضنا ـجدلاًـ استثناءً واحداً لانهارَت أركان العصمة بأسرها إذ نقيض الموجبة الكليّة هي السالبة الجزئيّة.

[4] سورة الإسراء الآية 65.

[5] حيث قد تحدّث بالفارسيّة قائلاً: «وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ مفسرين نوعا تفسير كردند بوساوس شيطان و اين معنى غلط صرف است زيرا شيطان به قلب مطهر او راه ندارد ..... و اللّه العالم اينكه مراد وساوس شيطان است به قلوب كفار و مشركين در اذيت و اهانت بآن حضرت كه اذيت و آزارها انسان را از جا ميكند چنانچه در آيات قبل هم داشتيم كه دستور صبر و بردبارى و دفع بالتى هى احسن داده شده، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ پس پناه ده خود را بخداوند متعال تا خداوند شر آنها را از تو دفع فرمايد چنانچه ميفرمايد: إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ سورة الغافر الآية56.».

[6] تفسير نور الثقلين , جلد 2 , صفحه 111.

[7] روح المعاني :24/ 125

[8] سورة الغافر الآية ٥٨..

[9] تفسير القمي، ج1، ص: 254